تسفر المساعدات المالية والتبرعات وافتتاح المدارس واقامة العيادات وبناء الورش عن تحسين في اوضاع عشرة الاف يهودي فقط · انه امر غريب بحاجة الى تفسير وتعليل ·

ي ـ اما في الصفحة ٧١ فيدعي الكاتب ان الفكرة الصهيونية لم تكن بمفهومها الداعي الى ارجاع اليهود الى فلسطين واقامة دولة لهم فيها معترفا بها دوليا من خلال نشاط سياسي واستيطاني يقومون به وليدة القرن التاسع عشر بالضبط ··· اذ يرجع تاريخها نحو قرنين الى الوراء · ولكن سرعان ما يتراجع الاستاذ صبري جريس عن دعواه هذه بدعوى مناقضة لها في الصفحة ٧٢ حين يقول : ولهذا فان تاريخ الصهيونية التي انجبت دولة اسرائيل بمفهومها السياسي والاجتماعي وعلى الصعيد النظري على الاقل يبدأ مع نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر ·

ق ـ وسننهي بهذا التناقض المزروع في صفحتي ١٢٤ ، ١٢٥ · حيث يقول الكاتب في الصفحة ١٢٤ : وقد ادى هذا الى ازدياد تعلق المستوطنين بجهاز موظفي روتشيلد · وفي الصفحة ١٢٥ يقول : لم يكن من المستغرب في مثل هذه الاوضاع ان تنشب الخلافات بين المستوطنين والموظفين المشرفين على مستوطناتهم وتسفر عن صدامات بينهم · وهناك نتساءل عن الكيفية التي يزداد بها تعلق جماعة بجماعة اخرى تتصارع معها صداميا ؟

منهج البحث :

اما عن منهج البحث فبالامكان القول بأن الانتقائية الذاتية التي استخدمها الباحث في عمله لا ترتقي اطلاقا لتشكل منهجا علميا لكتابة التاريخ او حتى طريقة من طرقه · وكما هو معروف تماما لكل باحث · فهناك فرق واضح بين مناهج البحث وطرقه · فالمنهج متصل بالعقل والفكر الانساني · وكل منهج علمي لا بد له من وجود فرض · ومصدر الفرض في بعض الاحيان التساؤل وقد يكون الظن · ويشمل المنهج الفرض والتساؤل والظن والاختبار النظري · ويستخدم المنهج الملاحظة ثم التصنيف والتحليل ثم الاستنتاج العام الذي به نصل الى القانون والتعميم ·

اما طرق البحث العلمي وهي تتعلق بخطوة واحدة من خطوات المنهج العلمي وهي ليست الا مجموعة الادوات التي يستعين بها الباحث· فبدت الصهيونية عند الكاتب بلا منطق يضبط خطاها ويرسم خط سيرها وانتقالها وتأثيرها بشكل يمكننا من ان نقف على مدلولاتها الحقيقية وتشعباتها المختلفة في ظل وضعها الراهن ·

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فلا بد لكل بحث علمي من ان يقوم على مجموعة من المفاهيم والفروض المتفق على مدلولاتها سلفا قبل استخدامها في عملية الوصف والتحليل او التفسير للظاهرة المنوي دراستها · وفي هذا الكتاب الذي نراجعه نقبنا عن الاتجاه النظري الذي يمكن للباحث من ان يستعين به في بلورة وتحديد مجموعة مفاهيمه التي تسمح له بتملك موضوع دراسته وفي تحديد الموضوعات التي اهتم بتعمقها وكانت موجها له ، فلم نجد سوى خليطا مهجنا من الاتجاهات النظرية المتضاربة متخفية في عباءة فضفاضة من الحياد الذي يحاول ان يدعيه الباحث ·

وهنا نجد ضرورة في القول ، بان مقولات الحياد والموضوعية في البحث العلمي ، هي مقولات قد عفا عليها